السيف الصقيل على من فرّق بين الاستبدال و التبديل

أبو عمر



انبرت طائفة في هذا العصر ضالة مضلة تزعم أنها من أتباع السلف الصالح و هي بعيدة كل البعد عن منهج سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم-، و أتوا بشبهة هزيلة مضحكة و في الحقيقة يخجل الراد أن يرد عليها لولا أنها انتشرت و اشتهرت على لسان أهل الزيغ و الانحراف من المرجئة الخُرّاف فقد رأيت أن أكتب هذه الرسالة المختصرة المعتصرة في الرد على شبهتهم التي قالوا فيها "أن هناك فرق بين الاستبدال و التبديل"، و أخذت قلمي مستعينا بالله لنقش هذه الشبهة بالأدلة و البراهين التي هي سيف بإذن الله على كل شيطان لعين.

أَنَا مَا كَتَبَتُ لِكَـيْ أُمَجِّدَ طَاغِيًا   حَاشَـاكَ يَا قَلَمُ العُلَا حَاشَـاكَا
يَا رَبِّ عَطِّرْ لِي حُرُوفِي بِالرِّضَا   مَا ضَلَّ مَنْ يَسْعَى لْنَيْلِ رِضَاكَا

و حتى تتضح لك شبهة القوم أخي المسلم أنقل شبهتهم التي دائما يرددونها على ألسنتهم المعوجة فيقولون أن التبديل (أن يحكم الحاكم بغير ما أنزل الله ثم ينسب ذلك إلى الله) فهذا عندهم يعد كفرا أكبر و ما عداه كفر دون كفر -بزعمهم- و أما الاستبدال فقالوا (أن يبدل الحاكم حكم الله بحكم غيره و لا يكون مستحلا و لا جاحدا و لا مفضلا و لا مساويا) فهذا كفر أصغر -بزعمهم-، و كل هذا التلاعب بالألفاظ للتعذير عن الطواغيت المبدلين لشريعة الله و العياذ بالله (هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) [النساء 109]. الاستبدال و التبديل بمعنى واحد و يراد بهما تغيير الشيء عن صورته و إن لم ينسبه إلى المبدل منه كما سيأتي معنا إن شاء الله، و من فرّق بين الاستبدال و التبديل فعليه البينة فهذا التفريق منهم تفريق باطل لا دليل عليه لا من القرآن و لا من السنة و لا من اللغة و لا من أقوال الصحابة -رضي الله عنهم- و لا حتى من قول عالم في القرون



الثلاثة المفضلة و من ادّعى خلاف ذلك فعليه البرهان و الدليل لا الاستدلال بقال و قيل !

الفصل الأول : الأدلة من القرآن الكريم :

قال تعالى : (أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) [البقرة 108]. قال الإمام الطبري رحمه الله : (الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى : { وَمَنْ يَتَبَدَّل الْكُفْر بِالْإِيمَانِ } . يَعْنِي جَلّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ : { وَمَنْ يَتَبَدَّل } وَمَنْ يَسْتَبْدِل الْكُفْر) [تفسير الطبري (494/2)]. و قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) [النساء 56] قال الإمام الطبري رحمه الله : ("بدلناهم جلودا غيرها"، يقول : كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) [تفسير الطبري (485/8)]. و قال سبحانه : (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) [البقرة 59] قال الإمام الطبري رحمه الله : (القول في تأويل قوله تعالى : (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم). و تأوبل قوله : (فبدل)، فغيّر، و يعني بقوله : (الذين ظلموا)، الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله، و يعني بقوله : (قولا غير الذي قيل لهم)، بدلوا قولا غير الذي أُمروا أن يقولوه، فقالوا خلافه، و ذلك هو التبديل و التغيير الذي كان منهم) [تفسير الطبري (112/2)]. و قال تعالى : (ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [الأعراف 95]، و قال تعالى : (وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا) [النساء 2]

السيف الصقيل على من فرّق بين الاستبدال و التبديل



و قال سبحانه : (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) [إبراهيم 48]، و قال سبحانه : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) [إبراهيم 28-29]. قال الإمام الطبري رحمه الله : القول في تأويل قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ)، يقول تعالى ذكره : ألم تنظر يا محمد (إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا) يقول : غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمه، فجعلوها كفرا به) [تفسير الطبري (5/15)]. و قال سبحانه : (إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [النحل 101]، و قال سبحانه : (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) [غافر 26]. قال الإمام الطبري رحمه الله : (القول في تأويل قوله تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)، يقول تعالى ذكره : (وقال فرعون) لملئه: (ذروني أقتل موسى و ليدع ربه) الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا (إني أخاف أن يبدّل دينكم) يقول : إني أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه بسحره) [نفسير الطبري (374،373/21)]. و قال سبحانه : (إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) [الفرقان 70]، و قال الله تعالى : (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) [البقرة 61]. قال الإمام الطبري رحمه الله : (يعني يقوله : (قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)، قال



لهم موسى : أتأخذون الذي هو أخس خطرا و قيمة و قدرا من العيش، بدلا بالذي هو خير منه خطرا و قيمة و قدرا؟ و ذلك كان استبدالهم) [تفسير الطبري (130/2)]. و قال سبحانه : (وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا) [النساء 20]. قال الإمام الطبري رحمه الله : (يعني جل ثناؤه بقوله :"و إن أردتم استبدال زوج مكان زوج"، و إن أردتم، أيها المؤمنون، نكاح امرأة مكان امرأة لكم تطلقونها). [تفسير الطبري (124/8)]. و قال سبحانه : (إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [التوبة 39]، و قال سبحانه : (هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم) [محمد 38]. قال الإمام الطبري رحمه الله : (و قوله تعالى ذكره : (و إن تتولوا يستبدل قوما غيركم) يقول تعالى ذكره : و إن تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد صلّى الله عليه و سلّم، فترتدوا راجعين عنه (يستبدل قوما غيركم) يقول : يهلككم ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلا منكم يصدّقون به، و يعملون بشرائعه) [تفسير الطبري (192/22)].

الفصل الثاني : الأدلة من السنة النبوية :

جاء في الصحيحين من قصة الإسراء و المعراج الحديث الطويل أقتصر على الشاهد فيه (قال ابن حزم، وأنس بن مالك: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ففرض الله عز وجل على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت، فوضع شطرها، فرجعت إلى



موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال: ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي). [صحيح البخاري حديث رقم 349]. و في صحيح البخاري (أَنَّ عَلِيًّا ـ رضى الله عنه ـ حَرَّقَ قَوْمًا، فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ، لأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ " لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ ". وَلَقَتَلْتُهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ). [صحيح البخاري حديث رقم 3017] قلت : و لا شك أن من بدل دينه أي بمعنى غيّره إلى دين آخر. و في صحيح مسلم (عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتِ اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاحَ لِذَلِكَ فَقَالَ " اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ " . فَغِرْتُ فَقُلْتُ وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ فَأَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا). [صحيح مسلم حديث رقم 2437]. و في صحيح البخاري (عن البراء قال : ذبحَ أبو بردة قبل الصلاة، فقال له النبي صلّى الله عليه و سلّم : "أبدِلها". قال : ليس عندي إلا جذعة. قال شعبة : و أحسبه قال : هي خير من مُسِنة. قال : "اجعلها مكانها، و لن تَجزِي عن أحد بعدك"). [صحيح البخاري حديث رقم 5557]. و في الصحيحين و اللفظ للبخاري (عن الأسود بن قيس، قال : سمعت جنديا قال : شهدت النبي صلّى الله عليه و سلّم صلّى يوم عيد، ثم خطب، ثم قال :"من ذبح فليبدل مكانها، و من لم يكن ذبح، فليذبح باسم الله"). [حديث رقم 6674]، و في صحيح البخاري (عن أبي حازم، قال : سمعت سهل بن سعد يقول : سمعت النبي صلّى الله عليه و سلم يقول :" أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه، و من شرب منه لم يظمأ بعده



أبدا، ليرد عليّ أقوام أعرفهم و يعرفونني، ثم يُحال بيني و بينهم". قال أبو حازم : فسمعني النعمان بن أبي عياش و أنا أحدثهم هذا، فقال : هكذا سمعت سهلا؟ فقلت : نعم. قال : و أنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه، قال : "إنهم مني، فيُقال : إنك لا تدري ما بدلوا بعدك. فأقول : سحقا سحقا لمن بدّل بعدي"). [صحيح البخاري حديث رقم 7050-7051].

الفصل الثالث : الأدلة من اللغة :

جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله : بدل: البَدَلُ: خَلَفٌ من الشيء، و التبديل: التغيير. و استبدلتُ ثوبًا مكان ثوبٍ و أخا مكان أخٍ، و نحوُ ذلك المبادلة. [كتاب العين (45/8)]. و قال الفراء: التبديل تغيير الشيء عن حاله، و الإبدال جعل الشيء مكان الشيء. [الفروق اللغوية، العسكري (113/1)]. و جاء في لسان العرب : (و الأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله، و الأصل في الإبدال جعل الشيء مكان شيء آخر)، و قيل : هما بعنى. [لسان العرب، ابن منظور (48/11)]. و جاء في القاموس المحيط (بَدَلُ الشيء، محرَّكة، و بالكسر و كأميرٍ: الخَلَفُ منه ج: أبدالٌ. و تبدَّلَهُ، و به و استبدَلَهُ، و به و أبدَلَهُ منه، و بدَّلَهُ منه : اتَّخذَه منه بدلًا). [القاموس المحيط ص : 965]. و قال زين الدين الرازي (ب د ل : (البديلُ) البَدَلُ و (بَدَلَ) الشيء غيره يُقال : بَدَلٌ و (بِدْلٌ) كشَبَهٍ و شِبْهٍ و مَثَلٍ و مِثْلٍ. و (أَبْدَلَ) الشيء بغيره و (بَدَّلَهُ) الله تعالى من الخوف أمْنًا و (تَبْدِيلُ) الشيء أيضا تغييره و إن لم يأت (بِبَدَلِهِ) و (استبْدَلَ) الشيء بغيره و (تَبَدَّلَهُ) به إذا أخذهُ مكانه). [مختار الصحاح ص : 30]. و جاء في المصباح المنير ((ب د ل) : البَدَلُ بفتحتين و البِدْلُ بالكسر و البَدِيلُ كلها بمعنى و الجمع أبدالٌ و أبْدَلْته بِكذا إبدالًا نَحَّيتَ الأول و جعلتَ الثاني مكانه و بَدَّلْته تبديلًا



بمعنى غَيَّرْت صورته تغييرًا و بَدَّلَ الله السيئات حسناتٍ يتعدَّى إلى مفعولين بنفسه لأنه بمعنى جعلَ و صَيَّرَ و قد اُستُعمِلَ أَبْدَلَ بالألف مكان بَدَلٍ بالتشديد فعُدِّيَ بنفسه إلى مفعولين لتقارب معناهما و في السبعة (عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ) [التحريم 5] مِنْ أَفْعَلَ و فَعَّلَ و بَدَّلْت الثَّوب بغيره أَبدَلَهُ من باب قَتَلَ و استبدلته بغيره بمعناه و هي المُبَادلَةُ أيضًا). [المصباح المنير (39/1)]. و في تاج العروس (و بَدَّلَهُ تبديلًا : حَرَّفَهُ و غيَّره بغيره. و تَبدَّلَ : تَغَيَّرَ و قوله تعالى : يوم تُبَدَّلُ الأَرضُ غيرَ الأرضِ و السَّماواتُ. قال ابن عَرفة : التّبديل : تغيير الشيء عن حاله). [تاج العروس (66/28)]

الفصل الرابع : أقواله بعض العلماء :

قبل أن أسرد أقوال بعض العلامء أنبه على أن أقوال العلماء ليست حجة بذاتها إنما من باب الاستعانة بأفهامهم و الاستضاءة بنور علمهم. قال الإمام الطبري رحمه الله : (و أصل "الاستبدال": هو ترك شيء لآخر غيره مكان المتروك). [تفسير الطبري (130/2)]. قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى : (ولا الشهر الحرام): (و المعنى : لا تستحلوها للقتال ولا للغارة و لا تبدلوها، فإن استبدالها استحلال). [تفسير الطبري (39/6)] ثم قال القرطبي رحمه الله :)في الأولى تبدلوها و في الثانية استبدالها فهل قصد في لفظته الثانية غير ما قصده في الأولى يا مرجئة !؟). قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : (أن يبطل حكم الله ليحل محله حكم آخر طاغوتي، بحيث يلغي الحكم بالشريعة بين الناس، و يجعل بدله حكم آخر من وضع البشر، كالذين ينحون الأحكام الشرعية في المعاملة بين الناس، و يحلون محلها القوانين الوضعية، فهذا لا شك أنه استبدال بشريعة الله سبحانه و تعالى غيرها، و هو كفر مخرج عن الملة، لأن



هذا جعل نفسه بمنزلة الخالق، حيث شرّع لعباد الله ما لم يأذن به الله، بل ما خالف حكم الله عز و جل، و جعله هو الحكم الفاصل بين الخلق، و قد سمّى الله تعالى ذلك شركا في قوله تعالى : (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ) (الشورى 21). [فقه العبادات، ص : 60]. و قد جاء شيخنا المفضال تركي البنعلي بإلزام لأحد المرجئة ممن تخبط في هذه المسألة فقال تقبله الله : (و لكي لا نبخس يونس الصباحي شيئا من حقه نقول إن هناك فرقًا بين التبديل و الاستبدال من جانب واحد، و هو قول أهل اللغة في القاعدة المشهورة : إن الزيادة في المبنى، تدل على الزيادة في المعنى. فالاستبدال أعظم في دلالته و معناه من التبديل، و لإنْ كان التبديل عند يونس هو : أن يحكم بغير ما أنزل الله، ثم يدعي أنه حكم الله، فهل الاستبدال عنده هو : أن يحكم بغير ما أنزل الله، ثم يدعي أنه الإله ؟!). [رشق نبالي و إشهار سلاحي، ص : 30].

بعد أن سردنا هذه الأدلة القاطعة من الكتاب و السنة و اللغة و أقوال العلماء أعرج على شبهتين أوحاها الشيطان لأوليائه من مرجئة العصر حول هذا الموضوع، الأولى أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال : (الشرع المبدل "هو الكذب على الله و رسوله صلّى الله عليه و سلّم أو على الناس بشهادات الزور و نحوها و الظلم البيّن فمن قال إن هذا من شرع الله فقد كفر بلا نزاع) [مجموع الفتاوى (268/3)]. أقول : إن ابن تيمية يتكلم عن مناط آخر و هو الكذب على الله و هو من صور التبديل، فالتبديل ليس نوعا واحدا "أن ينسب أحكاما من عنده إلى الله"، بل أنواع، و ابن تيمية له كلام آخر يدل على أن التبديل أنواع، قال رحمه الله : (و أمّا إن أضاف أحد إلى الشريعة ما ليس منها من أحاديث



مفتراة أو تأوّل النصوص بخلاف مراد الله و نحو ذلك، فهذا من نوع التبديل) [مجموع الفتاوى (265/11)]. فتأملوا كلام شيخ الإسلام رحمه الله أنه قال : "من نوع التبديل"، فهذا يعني أن التبديل أنواع و ليس نوعا واحدا كما يزعم أهل التجهم و الإرجاء، فالتبديل ليس محصورا في صورة واحدة و من فهم من كلام ابن تيمية هذا الفهم فليراجع فهمه، و أذكر هنا إلزاما على هذا أورده شيخنا تركي البنعلي. قال رحمه الله : (قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) [آل عمران 130]، و من منطلق فهم هذه الآية خرج علينا في هذه الأيام أناس -على شاكلة يونس الصباحي- يرون إباحة الربا و جوازه إن كان يسيراً، و يحرّمون الربا الفاحش، فإن أنكرتَ عليهم في ذلك أجابوك بأن الله تعالى عرّف الربا المحرم فقال : (أضعافا مضاعفة) أما الربا الغير مضاعف فلا بأس به !! و جواب هذه الشبهة : أن الله تعالى ذكر صورة من صور الربا، و لم يحصر الربا في هذه الصورة) [رشق نبالي و إشهار سلاحي، ص : 25]. ثم ينبغي أن نجمع بين كلام العلماء لا أن نأخذ قولا لأحدهم في موضع ما فنجعل هذا هو قوله الوحيد أو قصده دون النظر في كلامه الآخر في المسألة نفسها و قد قال ابن تيمية رحمه الله : (فإنه يجب أن يُفسّر كلام المتكلم بعضه ببعض، و يؤخذ كلامه هاهنا و هاهنا، و تُعرَف ما عادته يعنيه و يريده بذلك اللفظ إذا تكلّم به، و تُعرَف المعاني التي عُرِف أنه أرادها في موضع آخر، فإذا عُرِف عُرْفُه و عادته في معانيه و ألفاظه، كان هذا ممّا يُستعان به على معرفة مراده، و أمّا إذا استُعمل لفظه في معنى لم تجرِ عادته باستعماله فيه، و تُرِك استعماله في المعنى الذي جَرَتْ عادته باستعماله فيه، و حُمِلَ كلامه على خلاف المعنى الذي قد عُرِف أنّه يريده بذلك اللفظ بجعل كلامه متناقضا، و تركِ حمْلِه على ما يناسب سائر



كلامه، كان ذلك تحريفًا لكلامه عن موضعه، و تبديلًا لمقاصده و كذباً عليه) [الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (44/4)]. فنقول : أنّ من أضاف إلى الشريعة ما ليس منها كان كافرًا كفرا أكبر و كذا من بدّل جكما من أحكام الله بقانون فهو كافر كفرا أكبر نسب أم لم ينسب و الدليل ما قاله الطبري : (القول في تأويل قوله عز ذكره : وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) : ومن كتم حُكم الله الذي أنـزله في كتابه وجعله حكمًا بين عباده، فأخفاه وحكم بغيره، كحكم اليهود في الزانيين المحصنين بالتجبيه والتحميم، وكتمانهم الرجم، وكقضائهم في بعض قتلاهم بدية كاملة وفي بعض بنصف الدية، وفي الأشراف بالقِصاص، وفي الأدنياء بالدية، وقد سوَّى الله بين جميعهم في الحكم عليهم في التوراة=" فأولئك هم الكافرون "، يقول: هؤلاء الذين لم يحكموا بما أنـزل الله في كتابه، ولكن بدَّلوا وغيروا حكمه، وكتموا الحقَّ الذي أنـزله في كتابه=" هم الكافرون "، يقول: هم الذين سَتَروا الحق الذي كان عليهم كشفه وتبيينُه، وغطَّوه عن الناس، وأظهروا لهم غيره، وقضوا به، لسحتٍ أخذوه منهم عليه) [تفسير الطبري (456/8)]. فتأمل أخي المسلم أن الإمام الطبري لم يحصر كفر اليهود بالكذب على الله بل جعل مناط كفرهم في تبديلهم لحد الرجم بالتحميم و التجبيه و تشريعهم المخالف لشرع الله. و الشبهة الثانية التي يدندن حولها مرجئة العصر استدلالهم بقصة اليهود و فيها أنهم يزعمون أن اليهود كفرهم مُعلق بنسبة حكمهم إلى الله فقط دون التبديل! و قد ذكرها الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه قال بإسناده : (عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا فَدَعَاهُمْ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ " هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ " . قَالُوا نَعَمْ .



فَدَعَا رَجُلاً مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ " أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ " . قَالَ لاَ وَلَوْلاَ أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ نَجِدُهُ الرَّجْمَ وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ قُلْنَا تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَىْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ " . فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} إِلَى قَوْلِهِ { إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ} يَقُولُ ائْتُوا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} فِي الْكُفَّارِ كُلُّها) [صحيح مسلم حديث رقم 1700]. و الرد على هذه الشبهة من وجهين : الأول : من نفس الحديث أن اليهود اعترفوا بذنبهم و تراجعوا بين يدي رسول الله (قال رسول الله : أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ " . قَالَ لاَ وَلَوْلاَ أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ نَجِدُهُ الرَّجْمَ). الثاني : أن الله سماهم كفارًا قبل أن يأتوا النبي صلّى الله عليه و سلّم فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي



السيف الصقيل على من فرّق بين الاستبدال و التبديل



الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [المائدة 41]. فلاحظ أن الله في البداية قال : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) فحكمَ بكفرهم ابتداءً لتبديلهم حكم الله قبل أن يأتوا نبيه و يفترون فريتهم على الله و هو قولهم كما في الحديث السابق : (هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ " . قَالُوا نَعَمْ)، فكفرهم ليس معلّقاً بنسبة حكمهم إلى الله فهم كفار نسبوا أم لم ينسبوا فإن نسبوا حكمهم إلى الله كان كفراً فوق كفر كما أن مرجئة العصر أهل مكر ! و في الختام قد بيّنا أنه لا فرق بين الاستبدال و التبديل من القرآن و السنة و اللغة و أقوال العلماء فمن خالف بعد ذلك فقوله عندي تحت الحذاء و عرضنا شبهات القوم فنقشناها و لله الفضل و المنة و مرجئة العصر لا علم لهم و لا ذمة !

أَنَا مِدْفَعٌ سَوَّانِي رَبِّي لِلْعِدَا (بِكِتَابَتِي) أُعْلِي بِهَا إِيمَانِ

و أقول كما قال شيخنا العلامة تركي بن مبارك البنعلي رحمه الله : (فليكتحل برسالتنا أهل الإرجاف كما الإثمد لتزيل الغشاوة عن بصيرتهم و لتنير لهم الطريق بوضوح فمن أبى فهو في الظلمة يغدو و يروح)، (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) [الأنبياء 18]. و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين و على آله و صحبه أجمعين.

كتبه الأخ : أبو حذيفة سليمان بن عبد العزيز